

من الانتداب؛ فحزب الاصلاح، الذي تأسس في حزيران (يونيو) ١٩٣٥^(١٢٣)، تجنب، عند نكز غاياته، التعرض الى موضوع الانتداب، وان نص نظامه صراحة على «مقاومة مشروع الوطن القومي اليهودي بكل الوسائل الممكنة والالاحاح على الحكومة بوجوب وقف الهجرة اليهودية وبيع الاراضي، لخطرهما على كيان العرب وعلى رخاء البلاد والامن العام»^(١٢٤). الى هذا، تضمن نظام هذا الحزب تباينات تشي باضطراب موقفه من الوجود البريطاني في البلاد. ففي حين حث، من جهة، على السعي الى الاستقلال فلسطين ضمن الوحدة العربية، نص، من جهة أخرى، على مطالبة الحكومة بتأسيس الحكم الذاتي في البلاد؛ كما نص، من جهة ثالثة، على «السعي عند الحكومة لعقد معاهدة بين العرب والانجليز، كالمعاهدة المعقودة بين انجلترا والعراق»^(١٢٥)؛ وحزب الكتلة الوطنية، الذي تأسس في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٥^(١٢٦)، كان آخر ما اعلن عن تشكيله من احزاب فلسطين. وقد نصت المادة الرابعة من نظامه الاساسي على أنه يسعى «للوصول الى استقلال فلسطين السياسي التام والمحافظة على عربيتها»^(١٢٧)؛ وهو نص يشتمل، بدرجة كافية من الوضوح، على عدم القبول بالانتداب، أو بوعده بلفور.

هذا يعني أنه، مع الاقتراب من منتصف الثلاثينات، كانت الحركة الوطنية الفلسطينية، ذات الاصول العربية القومية في الاساس، قد انتهت الى بلورة موقف ليس ضد وعد بلفور وحده، بل ضد نظام الانتداب البريطاني المساند لهذا الوعد.

موقف متميز للشيوعيين

أما الشيوعيون، فهم الطرف الوحيد في البلاد الذي تعامل مع الوجود البريطاني بوصفه احتلالاً اجنبياً منذ البداية، وتعامل مع بريطانيا بوصفها دولة تستعمر فلسطين. فالنوى الاولى التي ظهرت قبل ١٩٢٣، والتي تشكل الحزب، فيما بعد، من مجموعها، وقد وقعت في أخطاء عدة، لم تتردد في النظر الى بريطانيا كدولة امبريالية مستعمرة، حتى حين استقبلها العرب القوميون كحليف محرر. وفي واحد من اوائل البيانات التي صدرت عن جماعة شيوعية في فلسطين، في الأول من أيار (مايو) ١٩٢١، جاء تحريض واضح للعمال الفلسطينيين كي يناضلوا ضد الامبرياليين الاجانب، الانجليز والفرنسيين، وضد المستثمرين من اليهود والعرب. وقد اختتم البيان بهذا الهداف المعبر: «لتسقط الحزاب الانجليزية والفرنسية، وليسقط اصحاب الثروات العرب والاجانب»^(١٢٨). وبعد أن تأسس الحزب تحت اسم «الحزب الشيوعي الفلسطيني»، في تموز (يوليو) ١٩٢٣، راحت مواقفه تتبلور على نحو أجلى في الحث على مقاومة الاحتلال البريطاني. وكان من رأي الحزب، كما جاء في واحد من بياناته المبكرة، ان الهداف الذي يسعى اليه هذا الاحتلال هو «دق اسفين في قلب العالم العربي، بهدف منع شعوب البلدان العربية، في النهاية، من التوحد القومي»^(١٢٩). وفي مقابل تركيز فرقاء الحركة الوطنية الاخرين على الصهيونية، رأى الحزب الشيوعي الفلسطيني ان بريطانيا، باحتلالها فلسطين، توخت ضمان مصالحها هي في الشرق الاوسط؛ اذ أن «فلسطين، وبالاختلاف عن جميع المستعمرات البريطانية الاخرى، لم تجذب انتباه بريطانيا اليها بسبب ثرواتها الطبيعية أو بسبب سوقها التجارية، وانما لاعتبارات استراتيجية تتعلق بموقعها... فهي تمثل قاعدة استراتيجية مهمة للدفاع عن قناة السويس، وعبرها يمر الطريق الوحيد القادم من الهند»^(١٣٠).

وبهذا، بدا الحزب الشيوعي الفلسطيني مبادراً في وضع يده على مسألتين تأخرت